EL - HAKIKA (the Truth) Journal
for Social and Human Sciences
Volume 18, Issue 02, June 2019
(Issue 49 of the previous sequence)
ISSN: 1112-4210
EISSN: 2139-2588
مجلة الحقيقة
للعلوم الاجتماعية والانسانية
مجلد 18 عدد02، جوان 2019
(العدد 49 من التسلسل السابق)

تحديات الهُوية الثقافية أمام الحدود السياسية بالمجتمعات الحدودية

The challenges of cultural identity in front of political boundaries in the border societies

- بريجة شريفة، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة أحمد بن حمد وهران 2، الجزائر، تخصص علم الاجتماع، 0671498336, sociologue46@yahoo.fr

- Received date: 14/02/2019
- Accepted date: 26/05/2019
- Publication date: 18/06/2019

ملخص:

تطرح هذه الدراسة موضوع واقع الحدود السياسية وعلاقات الجوار بين الدول المتجاورة في ظل وجود الهوية الثقافية. انطلاقا من إشكالية البحث، التي تطرح ظاهرة علاقة امتداد الهويات الثقافية بالحدود السياسية بين المجتمعات المتجاورة. وبهدف دراسة هذا الارتباط بين الهوية الثقافية والحدود السياسية، اخترنا الحديث عن تلك الأقاليم الموجودة بأقصى الحدود الغربية بين الجزائر والمغرب الأقصى. أين توجد وحدات اجتماعية اقليمية متشابهة، يتشارك سكانها نفس اللغة واللهجة، حفلات وجنائز مشتركة، التزاوج فيما بينهم، اثنية واحدة، نشاط المتداول واحد، يتشاركون نفس المشاكل والمعانات...ولكن حدود سياسية مختلفة !!! فمن خلال هذا المثال الحي سنحاول توضيح فكرة "تجاوز الحدود" والإجابة عن تساءلنا: هل الهوية الثقافية تتعارض مع الحدود السياسية؟ وهل حقا تُلغي الحدود السياسية ؟ أم العكس. والهدف الأساسي من هذه الدراسة هو: توضيح الدور الذي تلعبه الهوية الثقافية في تحوير العلاقات السياسية بين الدول، خاصة مع التطورات التي شهدها عالمنا المعاصر، حيث صارت إشكالية الهوية الثقافية ملحة أكثر لأنّ الكثير من ظواهر الصراع السياسي وقع تفسيرها على أساس تصادم هوياتي. أما منهجية العمل تمثلت فيما يلي: بعد طرح الاشكالية وصياغة الفرضيات، وتحديد المفاهيم الاجرائية الخاصة بمتغيرات الدراسة. قمنا بإجراء مقاربة نوعية، معتمدين فيها على معطيات العمل الميداني. واستخدمنا أيضا المنهج الوصفي التحليلي. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة هي :لا يُمكن للهوية الثقافية الغاء الحدود السياسية لأن هذه الأخيرة تُقوي عوامل ترسيخ الوحدة الوطنية وتحمي الكيان السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية، الحدود السياسية، المغرب، الجزائر، المجتمعات الحدودية

Abstract

This research suggests linking the fact that political boundaries exist with the cultural identity of peoples. Thus, the problem of research is to confront the idea of political boundaries and the extent

of cultural identities among neighboring societies. In order to study this contradiction of cultural identity with the so-called political boundaries,we chose the western regions between Algeria and Morocco.Where are the social-regional units that match their language and language, the same customs and traditions, the same problems and suffering,but in front of different political boundaries! In this real example, we will try to study this problem. The main objective of this study is to clarify the role played by cultural identity in transforming political relations between countries. The research methodology is: After the problem and the formulation of hypotheses, and to define the procedural concepts of the variables of the study we conducted a qualitative approach based on fieldwork data. We also used the descriptive analytical approach. One of the most important results of the study: cultural identity cannot cancel the political borders because the latter strengthens the factors of consolidation of national unity and protects the political, social and cultural entity of society.

Key words: cultural identity, political borders, Maghreb, Algeria, Morocco, territory, border society.

مقدمة:

يَعتبر بعض السوسيولوجيين بأن الحدود السياسية كعلامات للهوّية des marqueurs d'identité ومكونًا أساسيًا لها. وهذا ما أكده الانثروبولوجي "بارث"(F.Barth) بأنه من المستحيل تصور هوّية دون "الحدود". فالحدود السياسية هي جزء أساسي بالنسبة لأي دولة او شعب، لأنها تُستعمل كأدوات اقصاء او الضم، وأدوات الدفاع الثقافي، وهي جزء لا يتجزأ من معتقدات الشعوب، والتي تتجسد في شعورهم بالوطنية.

وتُعتبر أيضًا الحدود السياسية حدود "للهوّية" وما تشتمل عليه من خصائص تجمع بين أفراد شعب أو مجموعة إثنية واحدة، فإذا ذُكر أي مجال جغرافي أو عنصر من عناصره تبادرت الى الذاكرة بعض حدوده الثقافية والاجتماعية التي يُعرف بها. فهي إذاً جزء من الكيان الذي تَحُده، وهي تُمثل في الغالب دائرتين متقاطعتين :الأولى سياسية _جغرافية تشمل الحدود الرسمية للدولة، تُحدد نطاق سيادتها. يمكن اعتبارها مَرافق عمومية تقدم الى المرافق خدمات عامة كالحماية من العدوان الخارجي ومن البضائع المستوردة التي تضر بالاقتصاد وغيرها. أما الثانية :اثنية، ثقافية تشمل الخصائص المميزة للمجموعات داخل الدولة، في اطار الهوّية الوطنية والهويات الفرعية.[1]

[1] المتدين عبد اللطيف، "الحدود المزدوجة: صراع الهوّيات من منظور سياسي" دراسات المغرب ص 2

وأحيانا تُصبح الحدود السياسية رمزية، مثل ما حدث بأوربا بعد اتفاقها على معاهدة شانقن Schengen 1985م والتي طبقت حتى سنة 1990م، هذا الوضع الجديد مس بالهوّية الثقافية للشعوب التي انظمت الى الاتحاد الأوربي. وعليه طرحت هذه المسألة بمفاوضات GATT بالايرجواي Uruguay حول اجراءا حماية اللغة الفرنسية، بسبب ما تواجهه من رهانات جادة حول الحدود اللغوية، وهي في أغلب الأحيان الحدود الحقيقية للمجموعة. وغيرها من الخطوات من أجل حماية هوّياتهم، مثل اعادة ضبط الحدود خاصة بسبب أزمة اللاجئين والهجرة غير شرعية(2016م).

وفي ظل أزمات الحدود بين المجتمعات، أصبحت الهُوية الثقافية تعيش رهانات تنطوي تحت عوامل التثاقف والاتصال الثقافي، وكذا تقبل التنوع الثقافي الموجود، بكل ايجابياته وسلبياته، واحترام التنوع الاثني والانتماءات السياسية والدينية والقناعات. ويتولّد هذا التنوع والتعدد الثقافي عن ظاهرة التداخل والتفاعل بين الثقافات، التي أصبحت تهدّد هويات الشعوب، وخاصة منها تلك المتمسكة بثقافاتها التقليدية وارثها الأصيل، ومميزاتها والتي صارت تدرك نقاط الاختلاف والتشابه مع مختلف الثقافات. كما أن الهوية الثقافية، هي التعبير عن "تفرد" المجموعات، أو الشعوب أو المجتمعات، وهي الأمر الذي يمنع خلطهم في توحيد الفكر أو الممارسة، وتضمن لهم كيان قومي موحد.

وفي هذا السياق، وبالرغم من أن الحدود السياسية حامية للهوّية الثقافية، إلاّ أن هذه الأخيرة، تتجاوز الحدود السياسية، وتتجاهلها أحياناً؛ ونلمس هذه الظاهرة الثقافية من خلال المناطق المتجاورة، وما تعيشه من تداخل ثقافي هوّياتي، مثلما هو الحال بالنسبة للأقاليم الموجودة بأقصى الحدود الغربية بين **الجزائر** و**المغرب.**

فهناك توجد جماعات إقليمية، أو كما يُطلق عليها بالمجتمعات الحدودية، يتقاسم سكّانها نفس اللغة واللهجة، عادات وتقاليد وطقوس مشتركة، وصلة قرابة فيما بينهم، ويتشابهون في نشاطاتهم المتداولة، ويعيشون تقريبا نفس المشاكل والمعاناة. فالظاهر أنهم يكوّنون مجتمع واحدة، رغم اختلاف الحدود السياسية والمرجعيات الإدارية.

ومن هنا تطرح هذه الدراسة رؤية سوسيو-ثقافية حول واقع الحدود السياسية بين الدول المتجاورة في ظّل وجود الهّوية الثقافية. انطلاقا من دراسة فكرة علاقة الحدود السياسية بامتداد الهويات الثقافية بين المجتمعات المتجاورة. بهدف فهم المعنى الحقيقي للحدود السياسية، ومعرفة أيضاً واقع الهُوية الثقافية بالمجتمع الحدودي.

وسنحاول من خلال دراسة هذا المثال الحيّ الإجابة عن تساؤلاتنا:ما هي رهانات الحدود السياسية في ظّل وجود الهوية الثقافية؟ هل الهوية الثقافية تتعارض مع الحدود السياسية ؟ وهل تُلغي حقّا الحدود السياسية وترسم حدود أخرى ؟ أم العكس هو الصحيح ؟

وللإجابة على تساؤلاتنا، قمنا بدراسة ميدانية، اعتمدنا فيها على "الملاحظة بالمشاركة " و"المقابلة نصف موجهة" كأداتين للبحث الميداني. وقد تم تقسيم الدراسة الى ثلاثة محاور:

المحورالأول: مدخل نظري حول الهُوية الثقافة والحدود: من منظور سوسيولوجي وانثروبولوجي.

المحورالثاني: لمحة تاريخية حول الحدود الغربية بين الجزائر والمغرب

المحورالثالث: التحليل السوسيولوجي (مقاربة ميدانية).

وفي الأخير خاتمة نعرض فيها استخلاصات الدراسة.

EL - HAKIKA (the Truth) Journal
for Social and Human Sciences
Volume 18, Issue 02, June 2019
(Issue 49 of the previous sequence)
ISSN: 1112-4210
EISSN: 2139-2588
مجلة الحقيقة
للعلوم الاجتماعية والانسانية
مجلد 18 عدد02، جوان 2019
(العدد 49 من التسلسل السابق)

1- المحورالأول: مدخل نظري حول الهُوّية الثقافة والحدود: من منظور سوسيو_انتروبولوجي

1.1- الهُوّية الثقافة من منظور سوسيو_انتروبولوجي

تكتسي الهوية الثقافية كمفهوم في العلوم الاجتماعية، عدة معاني حسب المختصين و حسب المواضيع الاجتماعية التي تطرقوا لها، فحاولنا خلال البحث ذكر بعض الدراسات والمفاهيم حول الهوية الثقافية لأهم المفكرين الذين تعمقوا في دراستها:

فتُعرف عند **محمد عابد الجابري** بأنها" ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، وبعبارة أخرى هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل وما ينبغي أن يأمل".[1]

وتُعرف الهوّية عند السوسيولوجي الكندي **دورايس**[2] (Louis-Jacques Dorais) على أنها "ليست ثابتة، ولكنها تتصف بديناميكية التي تبرز عندما تُستخدم". هذا الاستعمال للهوية يبرز حسب الطريقة التي نتصرف بها لكي نبرهن عن من نحن؟ عندما نقوم بالتعامل مع العناصر الانسانية أو غير انسانية المحيطة بنا.

فهي كذلك تعبر عن الصفة التي ينقل بها الناس أمام مواقفنا، ويلعب التعبير اللغوي دورا أساسيا في استخدام الهوّية وذلك يسبب سيولة استخدامها في الوقت الحقيقي الذي يسمح للفرد أن يتفاعل على الفور مع تأثيرات الوسط.

ف **دورايس** (Dorais) يعتبر الهوية الثقافية على أنها عملية متحركة ترتكز على التصرف والتعبير وعلى أنها تلك الصيرورة التي يتم بفضلها عند مجموعات من الافراد الذين يتشاركون في الكثير من الصفات لفهم العالم وكيف يؤثرون على محيطهم و كيف ينشرون افكارهم وانماط تصرفاتهم وشعورهم بأنه يوجد افراد اخرون في مجموعات اخرى الذين يفكرون بصفة مختلفة و يتصرفون و يتعاملون بصفات تختلف عن صفاتهم.

فالهوية الثقافية تظهر عند حاملين **"ثقافة"** مهما كانت شفوية او مكتوبة والذين يصبحون في تداخل مع افراد تختلف ثقافاتهم عنهم بصفة ملحوظة.

ويُفسر **دورايس** (Dorais) مفهوم **الهوية الثقافية** بصفتها غير موضوعية بحيث تفضل العلاقة التي تصبح موضوعة بين حاملين الثقافات في علاقتهم فيما بينهم او مع الاخرين.

فالتفسير الذي أعطاه للهوية الثقافية له وجهين: وجه التشابه ووجه الاختلاف، فنحن متشابهين مع عشيرتنا او رفاقنا او فيما بيننا وفي الوقت ذاته نختلف ونتميز عن الاخرين

[1] www.mukalla-online.com

[2] Louis-Jacques Dorais « *La construction de l'identité* ». Département d'anthropologie. Université Laval. page 3

الذين لا ينتمون الى مجموعتنا :" الهوية الثقافية هي مجموعة كل الصفات التي تطبع اي شعب من نمط حياته ورأيته للعالم"[1].

وعلى حد تعبيره فان الهوية لها صبغة تأثيرية وهي متواجدة دائما عند الأفراد أو الشعوب فكل فرد يملك احساسه بهويته الفردية، الشيء الذي يجعله يختلف عن الغير.

ويضيف **دورايس** (Dorais) أن الهوية تُعتبر أساسا كتلك الصفة التي يبنيها كل انسان بالنسبة لمحيطه، ويوضح ان الهوية تكتسي ثلاثة معاني أساسية:

أ) ان الهوية علاقة وليست صفة قائمة في حد ذاتها عند الفرد وحده بدون وجود اخرين فيرى أن الافراد يشعرون بحاجة لوجود هويتهم عندما يتأكدوا بأنهم ليسوا وحدهم في هذا العالم، بل ان الوسط الذين ينتمون اليه يتكون من أفراد اخرين الذين يأخذهم بعين الاعتبار.

ب) ان الهوية علائقية لأنها قابلة للتحولات حسب الظروف التي تغير العلاقة مع المحيط، فلهذا ليست معطى مطلق، وهي مَبنية حسب صيرورة على طول الحياة، فبناء الهوية يعكس لنا تاريخ كل فرد وكل مجتمع.

ج) فالهوية هي تلك العلاقة التي تُبنى مع المحيط الخارجي للفرد، بمعناه الواسع بحيث لا يقتصر على الوسط الطبيعي الذي يشمل كل أعضاء الوسط الذي يعيش فيه الإنسان..

أما السوسيولوجية الفرنسية **جنيفياف فانسونو** (G.Vinsonneau) تخلص لمعنى الهوّية بأنها: تُشير إلى أمرين، أولهما هي مجموعة من الظواهر أين يتم عبرها التعرف على صفات الذات من طرف الفاعلين الاجتماعيين، الذين يعطونها معنى ومضمون[2]. ومن جهة أخرى تشير الهوّية إلى المحتوى الذي تصل إليه هذه الظواهر. فالهوّية تتحقق عبر وساطة صيرورات جدلية المتكونة من دمج المضادات، وأين المتشابهات تتراكم مع الاختلافات لربط الماضي مع الحاضر والمستقبل.

وتوصلت **فانسونو** الى وجود ثلاثة أنواع من الهوّية: رؤية كل إنسان هو حقيقة ما هو عليه، فهنا يدعى **بالهوية المطلقة**، أو ما يتمنى أن يكون و هو ما يسمى **بالهوية المرجوة**، وما هو المطلوب أن يكون فهي **الهوية المفروضة** أو **المسيطرة**. فهذا النوع من تكوين الهوّية يكون متجذر بقوة في الواقع المحسوس؛ وهو يستجيب بشكل خاص الى الصراعات الاجتماعية، فلهذا السبب نرى في بعض الأحيان تحلل هوّية الأفراد بصفتها **"هوّية الانتماء"** وهي مكتسبة
عبر التاريخ.

كما ترى **فانسونو** بأن العالم اليوم يشهد عدة صراعات باسم الهويات الثقافية لان كل جماعة اجتماعية تعمل على إثبات جذورها و تاريخها وتعمل على رسم حدود لوجودها خوفا من فقدان حدودها، لان الشعوب تعيش تخبطات في نظام التمثلات الأساسية للوجود. وان

[1] Louis-Jacques Dorais Ibid page 5
[2] Geneviève Vinsonneau« *Culture et comportement* » Armand Colin Pris 1997page 179

المجتمعات تعيش صدمة أنواع الثقافات والتي تجعلها أمام تجربة قاسية لتأسيس تشكلات هوياتية.[1]

فالانتماء الذي تجسده الهوية الثقافية، يُميز كل جماعة عن أخرى، ويصبح ينتقل كالإرث للفاعلين، لان المجتمعات تمر طبيعيا بالصراعات وحركية التغير.

وميّزت أيضًا المفكرة الفرنسية **فانسونو**[2] بين أبعاد بناء الهويات الجماعية :اللغة والتاريخ والاثنية، والممارسات الثقافية اليومية؛ وترى بأن "الدين" كظاهرة يأخذ مكانة مهمة في تكوين الهوية الثقافية ويمكن أن يعمل كوسيلة للتعريف الجماعي التي تسمح بربط الأفراد بمجموعة أو الدفاع و المقاومة ضد مجموعة متسلطة.

وضمن هذا السياق، وضحت كيفية عمل الهوية الثقافية وعناصرها خاصة الدينية من أجل الدفاع أو محاربة الآخر خلال الرهانات السوسيولوجية الحاضرة، أين أصبحت أي **الهوية الثقافية**، سلاح بيد الشعوب المغلوبة على أمرها، ووسيلة للحفاظ على وجودهم المتجسد في الثقافة، فالهوية الثقافية تقترن بالانتماء و الوجود.

واستنتجت أيضا، بان الهوية هي صيرورة لانجاز نظام رمزي، فلذلك الهوية لا تورث ولا تكتسب نهائيا، كما تبرر ذلك بتسارع التبادلات الإنسانية وعولمة الاتصال وتوسع عدم التجانس الثقافي. وبفعل حركية التداخلات الثقافية interculturelle لا أحد يكون مغلق بهوية خاصة به و بذلك منظومة قيمه و ثقافته تأخذ تشكلات جديدة بفعل الاحتكاك الثقافي.

وذكرت **فانسونو** أيضا بان انتماءات الفاعلين الاجتماعيين إلى مجموعات ثقافية متميزة، وإن استعمال مفهوم"بين الثقافات" interculturelle يمثل في الوقت ذاته وجود الهوية و الاختلاف عن الآخر و تجربة التموضع كل واحد بوجهة الآخر.

فالباحثة تضفي عبر مجموعة من المؤشرات الفيزيولوجية والرمزية، التي تمنح لنا وسيلة التفريق بين التمثلات و الاختلافات الجدلية عن الآخر و بهذه الوسيلة يتحقق التعرف على الهويات.

أما **ادغار موران**[3](Edgar Morin) توصل إلى إمكانية بناء هوية بشرية مشتركة انطلاقا من عناصر الوحدة التي تجمع بين البشر، فهي وحدة إزاء الموت ومشترك في الثقافة والسوسيولوجيا، مؤكدا من أنه ليس هناك تعريف للثقافة الذي يشمل جميع الثقافات من غير النظر إلى اختلافاتها...وثمة اختلاف بشري، كما ثمة وحدة داخل الاختلاف البشري، وكذلك اختلاف داخل الوحدة البشرية؛ ولا ينبغي للاختلاف الشديد أن يخفي الوحدة، ولا للوحدة الأساسية أن تخفي الاختلاف.

ويرى الانتروبولوجي **فريدريك بارت**(F.Barth) 1969م[4] بأن الهوية ذلك النظام الذي يتكون من نسيج الوضعية العلائقية بل هو من تجلياتها، فالهوية في رأيه ظاهرة مركزية في

---

[1] Geneviève Vinsonneau « *L'Identité Culturelle* »Armand Colin Paris 2002

[2] G.Vinsonneau Ibid p143

[3]موران، ادغار، النهج إنسانية بشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، الطبعة الأولى، هيئة أبو ظبي للثقافة والثرات، أبوظبي، 2009 ص 82.

[4]ولد خليفة محمد العربي المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص112

EL - HAKIKA (the Truth) Journal
for Social and Human Sciences
Volume 18, Issue 02, June 2019
(Issue 49 of the previous sequence)
ISSN: 1112-4210
EISSN: 2139-2588
مجلة الحقيقة
للعلوم الاجتماعية والانسانية
مجلد 18 عدد02، جوان 2019
(العدد 49 من التسلسل السابق)

نظام العلاقات بين الجماعات و تستخدم خارجها لأغراض التصنيف (من يشابهنا و من يختلف عنّا) و تنظيم التبادلات في كل مجالات الحياة.

ويذهب **بارث**(Barth) في دراسته"**الحدود بين الجماعات الاثنية**"[1] إلى أن التمايز بين **الهويات الثقافية** يرجع في الحقيقة إلى نوعية: العلاقات بين الجماعات و الطريقة التي تبرز بها الاختلاف ضمن تلك العلاقات، وبالتالي فان الهوّية ليست معطى أولياً و نهائياً بل إنها في حالة بناء دائم ينبغي دراستها من خلال الوضعية العلائقية.

فالهوية الثقافية كمفهوم حديث، يُمثل بناء مستمر على طول الحياة ويُوضح الاختلاف الموجود بين حاملين الثقافة، وعلاقتهم مع مختلف الثقافات[2] لهذا يستلزم البحث في هوية كل ثقافة وخاصيتها، كونها مُلمة ولها فضاء مُحدد وواضح، وبالتالي الهوية لا تكتسي صفة الكونية كما يعتقد البعض.

كما أن الهوية الثقافية هي مصطلح مزدوج، يترتب عنه خاصيات وصفات التي تبرز من خلال ممارسات يومية، وله أبعاد وحدود في فضاء أصبحت تطفو عليه التغيرات السوسيو ثقافية الحديثة. فكثرت التساؤلات وكثر الجدل بالوقت الحالي، حول مفهوم الهوية الثقافية، ومكانته داخل الثقافة العامة للمجتمع، والرهانات التي يعيشها.

اما فيما يخص الناحية التاريخية لتشكل "الهوّيات الثقافية" فقد عرف تقلبات عبر التاريخ، على غرار على ما وقع من تحولات سياسية بأوروبا بين 1815م وبداية الحرب العالمية الأولى والتي غَيّرت خريطة حدود دول القارة، بحيث ظهرت للوجود دول قائمة على الوطنية الواسعة ضمن "دولة-أمة" موحدة، لكنها تشمل داخلها عدة مناطق مُتَمايزة. كما عرف العالم غداة الحرب العالمية الثانية انتفاضات ومطالب أكثر وضوحا في ما يخص أهدافها، منها السياسية مثل التخلص من الاحتلال واسترجاع السيادة ومنها الثقافية، ونقصد بها، الاعتراف بالهويات الثقافية أي الاعتراف بالسِمات المبنية على اللغة والتراث الثقافي المشترك لجماعات كانت بالأمس مشتتة ومكبوتة أو بالسمات الدينية بحيث ظهرت للوجود في بعض الجهات جماعات متديّنة طالما كانت محظورة.

كما يشمل ذلك الاعتراف بالسمات المخصوصة، إثنيات عرفت تصفيات عرقية عبر التاريخ وصارت الآن قادرة على الظهور للوجود ويُعتنى بوجودها وبتراثها الذي محقه المحتل، مثل ما وقع لجماعات "الهنود الحمر" بأمريكا المتكونة في الحقيقة من شعوب مثل "المـايا" و"الأزتاك" في أمريكا الجنوبية.

فنشأت **اشكالية الهوّية الثقافية** كدرع يقاوم المُؤثرات الخارجية التي من شأنها المساس بثقافات الشعوب المُستقلة مؤخراً، أو التي هي في طريق التحرر.وأصبحت تُشكل طرحا للمجتمعات العربية خاصة، لأن هذه المجتمعات تلم بخصوصيات ثقافية مُميزة، تجمع بين شعوبها.

[1] ولد خليفة محمد العربي مرجع سبق ذكره ص112

[2] Louis-Jacques Dorais « *construction de l'identité* » Dpt anthropologie Université Laval Quebec.

وتُعد الهوية الثقافية مصطلح حديث خاصة بأوربا، أي ظهر خلال الستينات في اطار التحرر من الاستعمار، استخدمه كل شعب و كل جماعة يكتسبوا ثقافة خاصة أو ميراث معياري جماعي متقاسم.

ويؤكد ذلك الفيلسوف والسوسيولوجي الألماني **نيكولا**(Nicolaus Sombart) بأن الهوية الثقافية كانت تتميز بصبغة المقاومة الموجهة ضد النزعات والأخطار لمختلف الاثنيات الجغرافية والثقافية ضد تصفية الماضي وفقدان الذاكرة. كما ترتقي الهوية الثقافية الى تأسيس نموذج تنموي مُحدد من طرف واحد من أجل الجميع و كل الشعوب. [1]

فالمصطلح نشأ بالعالم الثالث أين شعوب الحضارات القديمة تطالب بحكمها الذاتي مقابل نصف الكرة الأرضية الشمالي الذي يفرض عالميته ويفرض الاستقلال الثقافي الذي يَستوعب الهوية الثقافية.

ويشرح **سومبر**(Sombart) بأن هذا المفهوم في الاصل كان موجه ضد **"أوربا"** ثم استحوذ من طرف الاوربيين، الذين استعملوه من أجل تفسير بحوثهم. وكما هو معروف أصبحت **"أوربا"** بعد 1945م منطقة من بين المناطق الأخرى، بعدما كانت مركز للعالم.

فصارت الهوية الثقافية بأوربا تبحث عن ما يُميز العالم و تُوجد المَعالم التي تُوحد الاوربيين، انطلاقا من أن الهوية هي أساس جوهري للتضامن المرغوب فيه.

وعلى مستوى المجلس الأوربي Conseil de l'Europe[2] مصطلح **الهوّية الثقافية** ظهر مع نهاية الستينيات وابتداءً من الثمانينيات أصبح كثير التداول، خاصة في مجال التحليل السياسي الأوروبي، فقد مر هذا المفهوم بعدة تحولات في الكثير من المحافل العلمية، من ملتقيات ومحاضرات بأوربا، أهمها:

-ملتقى **ماي1976**م المنعقد ب:براتسBrest الفرنسية، تحت عنوان "الهوية الثقافية الأوربية" الذي تبنى فكرة أن أوربا ترتكز على أصولها و الوعي بهويتها الثقافية الأوربية،

-ثم في سنة **1978**م وردت فكرة الحفاظ على الهوية الثقافية الماضية و الحاضرة للمنطقة،

-وابتداء من سنة **1984م** أصبح مصطلح **الهوية الثقافية** مستعمل بكثرة وخاصة عند المثقفين أمثال **موران**(Edgar Morin)..

وبالرغم من عدة تحولات التي عرفها مصطلح الهوّية الثقافية بأوربا في أكثر من ثلاثين عاما الى أنه ينسب الى:**"**الاحساس بالانتماء الى حضارة جامعة او جماعة ذات معايير او جماعة روحية**"**

وفي بيان بالعاصمة **الكولومبية** Bogotà [3] في يناير 1978م وضح بأن :"الهوية الثقافية" أساس حياة الشعوب، تظهر من ينابيع ماضيهم وتخطط للمستقبل بحيث لا تكون أبدا ثابتة

[1] Nicolas SOMBART "*La séduction de la mémoire*", dans Robert Dulau,sous la dir., *Repousser l'horizon*, Rodez Editions du Rouergue, 1994, p. 172

[2] Viviane Obaton « La promotion de l'identité culturelle européenne depuis 1946 EURYOPA » *études* 3-1997 Institut européen de l'Université de Genève p10

[3] V.Obaton op cit

ولكنها على حد سواء تاريخية ومتوقعة، ولا تزال على قيد التشغيل للتحسين وللتجديد " أي أن الهوية في صيرورة عبر الزمان و المكان".
ومؤخرا طرحت **مسألة الهوّية** رسميا من طرف وزير "الهجرة والإدماج والهوية الوطنية" الذي طلب من الشعب الفرنسي خوض "نقاش واسع" حول الهوية الوطنية الفرنسية، محددا موضوع النقاش:"بأي معنى يجب أن يُفهَم اليوم كون الفرنسي فرنسيا ؟ وما هو نصيب الهجرة في الهوية الوطنية".

أما بالولايات المتحدة الأمريكية وخلال خمسينيات القرن الماضي، ظهرت الهوية الثقافية كمفهوم، لأنه كان لزاماً على فرق البحث بعلم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، إيجاد الوسائل المضبوطة لكي يُعبروا عن المشاكل الآتية من ادماج المهاجرين.
وأصبح هذا الاقتراب الذي كان يركز على الهوّية الثقافية كمحور رئيسي بُني عليه التصرف الفردي للمهاجرين كأنه قار أي ثابت، ثم شيئاً فشيأ أصبح يتلاشى ليترك المجال الى هوية ثقافية ديناميكية غير مُتقيدة بالإطار العلائقي.
فظهور المشاكل السياسية والاجتماعية بالولايات المتحدة الامريكية خلال الستينات، خلقت **"أزمة هوّية"** عندهم، مما لأدى الى قيام الأقليات الافريقية الأمريكية بتحركات دفاعا عن وجودهم.
هذا ما يضع الهوية في صلب مشكل **"أزمة الهوية"**وهذه الظاهرة أدت الى انشاء أقسام **بالجامعة الأمريكية** كلفت بدراسة هوية الأقليات وبالقيام بأبحاث في هذا المجال.

فصارت الهوّية الثقافية تهم مثقفين هذه المجتمعات للدفاع عن هوياتهم وثقافاتهم وبالتالي وجودهم، لان الهوية حسب ما رأيناه سابقاً، هي مسألة "وجود"و"انتماء"كما أن الهوية الثقافية تصلح كأداة للتمييز وكذلك أداة للإدماج والإقصاء، فالهوية تنشأ على صورة بناء اجتماعي يُؤدي إلى الانتماء إلى مجموعة، وتصورا للذات وللغير وللعلاقات التي تربطنا "نحن" ب "الآخرين".
فما يمكن استنتاجه مما سبق أن الهوية مصطلح غير مضبوط أو مدقق في تعريفه، فعبر الزمان والتحولات التي يعرفها العالم، هذا المفهوم يعرف تحولات في معانيه الاصطلاحية وتارة يخضع لنوايا ومقاصد جيو/سياسية، بحيث قامت مناهضة للنظام الدولي القديم، تمثلت في حركات التحرر الوطني المطالبة بحق تقرير المصير (بأمريكا اللاتينية، وافريقيا، وآسيا، والوطن العربي).

2.1. - الحدود من منظور سوسيو_سياسي:

البحث في موضوع الحدود هو مجموعة من الافتراضات التي تم التحقق من صحتها والتي يمكن أن تكون أكدت من قبل المتخصصين، فالتفكير في مقارباتهم يعكس وجهات نظر وثقافات مختلفة. وتتعدد المقاربات للمفاهيم المختلفة للحدود، ولكن المقاربة السياسية أكثر حذراً لأنه يحد هدفها إلى فئات محددة من الحدود بدلا من الحدود في مجملها.

مثلت الحدود الأهمية الرئيسية للمجتمع الدولي في منتصف القرن الماضي، وذلك لما تمثله من مجال حيوي للدول,خاصة الحدود الطبيعية و بالأخص الحدود البحرية التي

تعرف بتعقيد ترسيم حدودها وتنوع الحدود فيها، إضافة لأهمية الثروات التي تزخر بها المحيطات وهو ما يشكل عامل قوة بالنسبة للدول العظمى، باعتبارها ممرات مائية للتجارة العالمية، وتواجد عسكري عبر تواجد حاملا ت الطائرات الأمريكية أو الأوربية أو الروسية...الخ، وبشكل خاص الأسطول الأمريكي السادس في منطقة الخليج العربي والذي لا يغادرها حفاظا على مصالحه في المنطقة وتحديدا البترول، وتتجلى هذه الأهمية في مناطق النزاع كالقرن الإفريقي، حيث تتعرض السفن التجارية للقرصنة، وفى مناطق وحدود أخرى عديدة.

كما ان السياق السياسي حول الحدود السياسية هو المناقشة المعاصرة التي تتعلق بشكل رئيسي بأوروبا، وتحت أشكال مختلفة قليلا بأمريكا الشمالية، وذلك بسبب تطوير الحدود الدولية المعاصرة في مؤسسة سياسية عنصر قانوني وسياسي للتفاهم على ساحل المحيط الأطلسي، والذي بعد ذلك اكتسبت ببطء وسط أوروبا، قبل أن يتم تصديرها إلى بقية العالم. الحدود الخطية، وتحديد سلطة ذات سيادة، داخلها تحاول الحكومة احتكار الاستخدام الشرعي للقوة الإكراهية والكل العدالة، هو اختراع أوروبي.[1]

و رسم الحدود يعني التمييز بين أراض داخلة تحت سلطة الدولة تمارس فوقها اختصاصاتها القانونية، وبين أرضٍ خارجية تخضع لسيادة مجموعة أخرى. الحدود عبارة عن حواجز يقف عندها الأشخاصٍ أو يعبرونها، كما البضائع والخدمات .فهي خطوط لحرمة من التنقلات قد تمس سيادة الدولة، لذا وجب احاطتها بمجموعة من القوانين تنظم العبور المسموح به. كما تحدد هذه الخطوط نطاق الصراع والتعاون بين الدولة وتصرفاتها العابرة للحدود التي تجعل من العلاقات الدولية في نهاية المطاف، علاقات بين الحدود.[2]

ومصطلح "الحدود" _على حد تعبير أحد الباحثين المهتمين بقضايا الهجرة والهوّية_هو أيضا مشبع برمزية مبنية على أساس تصور "الحاجز" أو "التقاطع". فالحدود يعاد بناؤها باستمرار من قبل البشر الذين ينظمون، ويتأثرون ومحدودة من خلال هذه الحدود نفسها. لكن هذه إعادة البناء تتأثر بالتغييرات السياسات وظهور في كثير من الأحيان لا يمكن التنبؤ بها من الصراعات الكبرى على خلفية الابتكار التكنولوجي. وبالتالي، فإن التكنولوجيا العسكرية التي وضعت في النهاية من الحرب العالمية الثانية قد غيرت الأهمية الاستراتيجية للسيطرة على الأراضي.

[1] Malcolm Anderson « Les Frontières :un débat contemporain »cultures et conflits, nos 26-27(1997)p 05
[2] Malcolm Anderson Ibid p 15 -32

قدرة الاستقلال العسكري للعديد من الدول ذات السيادة لديها وجدت مخفضة بشكل كبير وأصبحت حدود هذه الدول غير قابلة للدفاع عنها.[1]

2- المحورالثاني: لمحة تاريخية حول الحدود السياسية بين الجزائر والمغرب:

عرف المغرب العربي ظاهرة الحدود السياسية منذ القدم، ويعود ذلك الى عهد الحضارة **القرطاجية** . فقد ذكر ذلك "عبد الرحمن بن خلدون" في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، بأنّ المغرب العربي ينقسم الى خمسة أجزاء حسب العرف القبلي وحدود نفوذ القبائل، وتلك الاجزاء هي:

1)المغرب الأقصى: ما بين "وادي ملوية" من جهة الشرق الى "آسفي" حاضرة البحر المحيط، ومن جهة الجنوب الشرقي عبر "وادي قير" الى "وادي الساورة" أو عبر قصور "توات" في اتجاه الشرق والجنوب الشرقي.

2)المغرب الأوسط: قاعدته "تلمسان" وأن "ملوية" يُعتبر الحد العرفي بين المغربين الأقصى والأوسط وهذا هو المتعارف عليه عند المؤرخين والجغرافيين العرب[2].

وبكتابات المؤرخين المغاربة تحدثوا أيضًا عن الحدود بين البلدين، ومنهم المؤرخ "الزياني" في مخطوطه "البستان الظريف " و"اليفرني" في كتابه "روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف"، كما كتب "الحسن الوزان" في كتابه "وصف افريقيا"، بأن مملكة "تلمسان" يحدها من الغرب "نهر الملوية" ومن الشرق "نهر الوادي الكبير، ومن الجنوب "صحراء نوميديا" .وتمتد مملكة "تلمسان" من الشرق الى الغرب على مسافة خمسمائة وثلاثين ميلا..[3]

فالحدود بين البلدين كانت معروفة الى حد ما، وذلك يظهر من خلال كتب التاريخ، والتي تُبيّن الممالك البربرية الأولى التي كانت تحدها "المولويا Moulouya " من الغرب والمناطق الخاضعة لسيطرة قرطاجة من الشرق[4].

ومنذ القرنين السادس والسابع تأسست مملكة الرستميين "الجدّار" بتيهيرت، وامتدت من تيهيرت الى تلمسان، حدودها الغربية القبائل المستقلة والمملكة الادريسية. وقد امتدت طوائف الخوارج على كافة أراضي المغرب من "سجلماسة" في الغرب. ثم الدولة "الحمادية" التي حكمت المغرب الأوسط الى غاية تلمسان، وقد احتلت مدينة "فاس" لفترة قصيرة.[5]

---

[1] Malcolm Anderson « Les Frontières :un débat contemporain »cultures et conflits, nos 26-27(1997)pp 03

[2]مياسي ابراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837_1934، ، دار هومه، الجزائر، 2009، ص 333_334

[3]مياسي ابراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837_1934، ص 335

[4]جغلول عبد القادر ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، الطبعة الأولى، دار الحداثة، لبنان، 1982، ص 06

[5]جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر والمغرب العربي، ترجمة فضيلة الحكيم وفيصل عباس، 2013، ص 78

وبتأسيس دولة "الموحدين" (1150) بسطت حكمها على المغرب كله. وقبلهم "المرابطين" قاموا باحتلال "وجدة، وتلمسان، ووهران "(1069) الى أن سقطت سنة (1147) تحت ضربات الموحدين.[1]

وبعد توحيد المغرب، عاد الى الانقسام الى ثلاث دويلات : المملكة "المرينية" وفي الغرب "المملكة الحفصية" وفي الوسط المملكة "الوديدية" عاصمتها "تلمسان" وبالمغرب الأقصى تأسست مملكة "الأدارسة"(788_793م) ب "وليلي" ثم "فاس" والتي ترامت أطرافها ما بين "تلمسان" وسواحل المغرب الأوسط حتى سواحل السوس الأقصى.

فكانت بلاد المغرب الأدنى تضم "برقة"، وطرابلس وتمتد غربًا حتى بجاية أو تاهرت، وقاعدتها مدينة القيروان. أما بلاد المغرب الأوسط فتضم المنطقة الممتدة من تاهرت وحتى وادي ملوية وجبال تازة غربًا، وقاعدتها تلمسان وجزائر بني مزغنة. وأما المغرب الأقصى فيمتد من وادي ملوية وحتى مدينة أسفى على المحيط الأطلسي وجبال درن جنوبًا[2]

فالحدود الغربية للجزائر منذ تعاقب التشكيلات الدويلات فيها، كانت الحدود بها واضحة، مثل "امامة طاهرت الرستمية 761_911" كانت حدودها الغربية :اتحادات القبائل المستقلة والمملكة الادريسية، وامتدادها على أراضي من "سجلماسة"[3] وبعدها الزيريون والحماديون الذين احتلوا "فاس"(1062).ومن ثمة الموحدون اللذين اسقطوا مراكش وبذلك انهار حكم المرابطين(1146)، وكانت أحيانا حدود المغرب الأوسط تمتد الى ما وراء تلمسان.

وانطلاقا من تعد الدويلات والمماليك بالمغرب الاسلامي ككل، نستنتج بأن مفهوم الحدود لم يكن له معنى حقيقي، بل كانت أقاليم ومراكز سياسية تحده منافسة هذه المراكز لبعضها البعض وقوى متنابذة تلازم طبيعة هذه المراكز.

مما سبق نلاحظ بأن المنطقة عرفت عبر التاريخ عدة تحولات وتداخلات بين حدودهم السياسية، وخاصة عقب كل صراع، وخاصة خلال الوجود الفرنسي بالمنطقة، أصبحت تظهر مشاكل بين الحدود بين الطرفين المُستعمر والمغرب خلال 1844م وبدأت المواجهة بينهما بموقعة "ايسلي" حيث انتصرت الجيوش الفرنسية. ومن ثمة تم تثبيت الحدود بين الجزائر والمغرب بمعاهدة "لالة مغنية" 18 مارس1845 كان يرجى منها أن تكون الفيصل بين النزاع المغربي_الفرنسي على الحدود[4] .وقد نصت الاتفاقية على"منطقة جافة بدون منابع مائية وغير مأهولة وتحديدها مبهم" وبموجب هذه الاتفاقية تم تحديد الحدود الشمالية بين الجزائر والمغرب. فرسم 1601 كلم[5] إبتداءا من البحر الأبيض المتوسط في الشمال وإلى الجنوب باتجاه مدينة فيكيك المغربية.

---

[1] جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر والمغرب العربي، ص 84

[2] بطاينة محمد ضيف الله، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص267. /علي محمد الصلابي: حركة الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي، ص15، 16. وطاهر راغب: موجز تاريخ المغرب، ص3.

[3] جغلول عبد القادر ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، الطبعة الأولى، دار الحداثة، لبنان، 1982، ص 49

[4] مياسي ابراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837_1934، ، دار هومه، الجزائر، 2009، ص214

[5] ويكيبيديا تاريخ الاطلاع 27 10 2018

وابتداءا من سنة 1852م عرفت المنطقة مرة أخرى توترات بسبب الحدود، ونشبت عدة معارك، وتجدد الخلاف الحدودي أيضا خلال 1859م .وخلال سنة 1873م، أعادت السلطات الفرنسية تنظيم الأقاليم الحدودية اداريا.

وقد استمر الصراعات على الحدود، بين القبائل المغربية (بني درار، بني يزناسن...) والقبائل الجزائرية (أولاد سيدي الشيخ الغرابة، حميان، .....)

وفي سنة1912م تم إعلان الحدود الإدارية الجديدة من الخط الفاصل بين تبرياتين وفكيك، أي بعد احتلال المغرب في1912 ، قررت الإدارة الفرنسية تثبيت الحدود بين البلدين، فكان خط **فارنييه** 1912 وخط **ترنكي**1938 الذي يختلف من خارطة لأخرى .بما أنه في نظر الإدارة الفرنسية ليس ذلك بحدود فعلية والمنطقة أصلا غير مأهولة أي لا تمثل أي أهمية ما .

ومن منطلق عدم تثبيت جيّد لهذه المنطقة الحدودية تولدت صراعات ومشاكل حدودية بين المغرب والجزائر أهمها **حرب الرمال،** هو صراع مسلح وحرب اندلعت بين البلدين في أكتوبر من عام 1963 م، بعد عام تقريبا من استقلال الجزائر وعدة شهور من المناوشات على الحدود . وبعدها قامت "المنظمة الإفريقية" بإرساء اتفاقية لوقف نهائي لإطلاق النار في 20 فبراير 1964 في مدينة باماكو عاصمة دولة مالي.

وخلال معاهدة سنة1972 وبعد أحداث حرب الرمال، ضُبطت من جديد الحدود بين الجزائر والمغرب على، وبتاريخ 28 مايو 1992 تم المصادقة عليه من طرف مجلس النواب في المملكة المغربية .

وبعد اعتداء إرهابي تعرضت له مراكش في 1994م، قيل بأنه تورط فيه ثلاثة شبان جزائريين، وعليه ردت الرباط بفرض التأشيرة على الجزائريين. فأغاظت تلك الخطوة الجزائر، مما ترتب عنها غلق حدودها البرية مع المغرب. ورغم أن النظام المغربي تراجع عن قراره وألغى التأشيرة بالنسبة للمواطنين الجزائريين منذ2004 م، لم تعدل السلطات الجزائرية عن قرارها.

ثم شرعت المغرب في إقامة سياج عازل، وتثبيت كاميرات على طول الحدود ، و من الناحية الجزائرية حفر خندق تقريبًا بعمق ثمانية أمتار 08م وعرض ثمانية أمتار 08م. ولا تزال تستمر اعمال الحفر على طول الحدود الغربية، وحاليا وصل الحفر الى قرية "العابد" بلدية "سبدو"، ومشروع تثبيت أجهزة مراقبة عن طريق "الكاميرات" في طريق الانجاز .

ومن أجل تقديم صورة أدق عن المجتمعين الحدوديين محل الدراسة، نذكر بعض المدن المغربية الواقع على طول الحدود المغربية الجزائرية هي : الراشدية، أحفير، وجدة، بني درار، بني زناسن، نتويسيت، بركان، فكيك، بوعنان...

وتوجد خمسة ولايات تقع على طول الحدود الجزائرية المغربية وهي :تلمسان، النعامة، بشار، تندوف وأدرار. أما أشهر المعابر بين البلدين هما "زوج بغال" و"العقيد لطفي" الفاصلين بين وجدة ومغنية، و "واد كيس" بين بلدية "المرسى بن مهيدي" و"السعيدية".

3- المحورالثالث: التحليل السوسيولوجي (مقاربة ميدانية)

المتفق عليه من طرف الكُتّاب بأن كل الدول التي تأسست بالمغرب الاسلامي وبالرغم من الاختلافات السياسية التي كانت قائمة، إلاّ أن تركيبتها الاجتماعية كانت واحدة، تَغلب عليها العصبية المغربية البربرية.

والى غاية اليوم توجد قواسم تاريخية وجغرافية مشتركة تجمع هذه المجتمعات، وبالأخص الشعبين المغربي والجزائري. وهذا ما استنتجناه من خلال العمل الميداني الذي استخدمنا فيه "الملاحظة" و"المقابلة نصف موجهة" والتي شملت "عينة قصدية/فرز عن طريق الكرة الثلجية"[1] .هذه العينة مُتكونة من ثمانية مبحوثين، بالمناطق الحدودية الشمالية الغربية من الناحية الجزائرية (تلمسان). أما بالنسبة لجهة أقصى الشرق المغربي، تعذر علينا اجراء مقابلات مع سكان المنطقة، ولكن استخدمنا قراءة بعض الكتب والوثائق والمقالات الصحفية عن ظاهرة الحدود، ومتابعة بعض الأشرطة الوثائقية التي تسرد عادات وتقاليد المنطقة حتى نتمكن من الوصول الى فكرة تقريبية عن ثقافة هذه المجتمعات الحدودية بالجهة المقابلة .وكذا الاستعانة بمحادثات مع أصدقاء مغاربة حول منطقتهم، حتى تكتمل لنا كل المعطيات عن موضوع الدراسة، كما كانت لنا زيارات لبعض مدن المغرب مما ساعدتنا في إثراء الموضوع.

فما توصلنا اليه من المعطيات هو كالتالي:

من الناحية الجغرافية، والمظهر الخارجي للمدينة: تبيّن بأن التضاريس واحدة، مُكونة من سهول ومزارع منتشرة. طقس واحد يُصنف ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط. وبشكل عام الملاحظ بالعين المجرد هو صورة مُوحدة ومتشابه للمنطقة الحدودية، الى درجة أن المُلاحِظ يشعر بأنه بدولة واحدة، بسبب عدم وجود جبال او هضاب تفصلهما.

أما من ناحية العمران، يتشابه هو الآخر بين المنطقتين (من الناحية الخارجية)، نفس الهندسة المعمارية، الألوان، تصاميم واحدة، وما لفة انتباهنا أكثر من خلال الملاحظة، هو تشابه هندسة المساجد وصوامعها.

والملاحظ أيضًا وجود الطريق الوطني المتوازي الجزائري يُحاذي خط الحدود الفاصل بين البلدين، وبالضبط مدينة "وجدة" المغربية، ولكن مُغلق.

ومن الناحية الثقافية والبنية الاجتماعية: فالتشابه بينهما بليغ، فإذا دققنا في تجهيز أثاث البيوت فهو يتشابه جدًا. والاذاعة المُستمع اليها بكثرة هي اذاعة MFM المغربية تُسمع برامجها بشكل جيد، وحتى القنوات التلفزيونية خاصة قناة 2M. والأغاني "المغربية" ذات رواج واسع وتكاد تغلب على الطابع الموسيقي بمنطقة الغرب الجزائري ككل.

ومن الناحية اللغوية وهو ما شد انتباهنا، أين لاحظنا بأن اللهجة المحلية للسكان القانطين بالمناطق الحدودية بالضبط متجانسة مع لهجة سكان المغرب؛ ودرجة التشابه تلك تجعلك تشعر بأنك بالمغرب وليس بالجزائر، والعكس.

[1] Le tri boule de neige

أما عن العادات والتقاليد والمعتقدات والطقوس والقيم، والتجارب المشتركة، فهي متشابهة أيضًا، مراسيم الاحتفال بالأعراس، والختان، وكل الاحتفالات الجماعية والدينية، طقوس الحمام (التركي)، وطريقة اللباس خاصة اللباس التقليدي الخاص بالأعراس (التكشيطة، فوقية، الجلابة المغربية ...)، فن الطبخ كذلك، تحضر الأطباق ذاتها بالمنطقتين. الاهتمام بالأرض والفلاحة والرعي...وأنماط عيشهم وطرق العمل التي يتبعونها، حتى أن سكان المنطقتين كانا قبل غلق الحدود البرية يمارسون تهريب مختلف البضائع...

وبشكل عام، أسلوب العيش والتنظيم الاجتماعي ككل يتشابه بين سكان المنطقتين، وكل الميكانيزمات المؤكدة لوحدة الجماعة، ونخص بالذكر الرابط الاجتماعي الذي يُوحد الشعبين. فتقريبًا جل سكان المنطقتين إلاّ وله صلة القرابة والنسب مع سكان الطرف الآخر المغربي .وما يجدر الاشارة اليه هنا هو تواجد مجموعة كبيرة من السكان من أصل مغربي لديهم جنسية جزائرية، هذا الوضع ما زاد من معاناة تلك الأسر المختلطة، بسبب تعسر التواصل فيما بينهم بسبب غلق الحدود البرية. فبقي التواصل فيما بينهم عن طريق الهاتف أو وسائل التواصل الاجتماعية(face book,viber,imo...)، وإما السفر عن طريق الجو بالنسبة للأسر ميسورة الحال فقط، بسبب غلاء تذكرة الطائرة.
وعليه أصبحت منطقة "واد كيس" الواقعة بين بلدية "المرسى بن مهيدي "ومدينة "السعيدية" من ناحية المغرب، وهي أقرب منطقة حدودية، أين يُمكن ملاحظة طريق الوطني وسيارات البلدين، وصفوف الرايات الحمراء والخضراء من جهة، والبيضاء والخضراء من الجهة الأخرى، هذه النقطة أصبحت ملتقى عن بُعد للعائلات الجزائرية والمغربية.

وعند سؤالهم عن رأيهم حول فتح الحدود البرية من جديد، كانت اجاباتهم كلها امل بإعادة فتح الحدود، فمنهم ما هدفه التواصل من جديد مع أقاربه، ومنهم هدفه اقتصادي بمعنى اعادة الحركة التجارية بين المنطقتين.
فتلك المعاناة التي تتجلى من خلال اجاباتهم، جسدتها أيضًا السينما عن طريق فيلم "الوشاح الأحمر" للمخرج "محمد اليونسي"، الذي أظهر من خلال هذا العمل السينمائي ظاهرة الوحدة الاجتماعية والتداخل بين المجتمعين ولكن الحدود السياسية تُفرقهم. وهناك أيضا رواية "زوج بغال" للكاتب الجزائرى "بومدين بلكبير"، صدرت عن منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، التي سرد فيها تداعيات أزمة الحدود بين البلدين.

وعلى ضوء ما جاء بالمُعطيات التي جُمعت عن طريق العمل الميداني، توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات والإجابات عن تساؤلاتنا، التي تبيّن من خلالها بأن المجتمعين الحدوديين واعيين بوجود هوّية ثقافية تخص كل شعب منهما، و هذا ما أشرنا اليه في المقدمة وهو الشعور بالوطنية. ولكن لا تظهر هناك اختلافات أو تباينات ثقافية كبرى بين سكان المنطقتين اللذين يُفرقهما خط وهمي تحت عنوان "الحدود السياسية".

بل هناك "هوّية قومية " تربطهما تتجسد من خلال مجموعة من الصفات والسمات الثقافية المشتركة وعديدة كاللغة، المعتقد، القاسم التاريخي والجغرافي، ذاكرة

جماعية...وخاصة الدين الذي يُطور شعورهم بالانتماء الى الجماعة، ووجود ضمير جمعي يدعم الروابط بين الأجيال.
كما يوجد اتصال وارتباط عاطفي قوي بينهما وهذا ما يُلمس خاصة من خلال أجوبة المبحوثين التي كُلها آمال في إعادة فتح الحدود البرية بين البلدين.
فتأمل سكان هذه المناطق الحدودية في فتح الحدود البرية، مُمكن أن يُفسر، إما بشعورهم بالتجانس الهوّياتي والوحدة الثقافية ؛أو يُفسر تفسيراً مادياً، بمعنى دافعهم هو علاقات الانتاج المادية، أي التطلع الى احياء التبادلات التجارية من جديد بين الاقليمين. وهذه علاقات الانتاج مُمكن أن تفسر حسب ما جاء به "كارل ماركس" بان الأفكار هي نتيجة جدلية لعلاقات الانتاج حيث ثمة علاقة وثيقة بين الهيمنة المادية بكل صورها والأفكار السائدة المُهيمنة بكل أوجهها. وعليه يجب أن تتأمن الهيمنة على ادوات السيطرة الفكرية كي تتمكن الطبقة المهيمنة من اعادة انتاج شروط انتاجها، أي ايديولوجيتها ونظرتها للحياة. فالإيديولوجية اذاً، وفي نهاية المطاف، وعي الطبقة المسيطرة على الواقع وتصورها تبعاً لمصالحها وموقعها الاجتماعي[1].

وعليه ما يُمكن ان نُفسره، هو بأن الحدود السياسية لا تُوقف امتداد الهوّية الثقافية، بالرغم من أنها تضع اطارها الخارجي، وتُعتبر كعلامات لها، وخاصة نحن في زمن انتشار وسائل الاتصال الحديثة بتكنولوجياتها المتقدمة وما يترتب عنها من تثاقف. مع العلم بأن الهوّية تستقر في الوعي الاجتماعي حاملة السمات الأساسية التي تُميّز الجماعية عن غيرها، لكن ثوابتها مُعرضة للزعزعة والذوبان أحياناً في هويات أخرى، بسبب العولمة، التي ساعدتها تقنيات الاتصال، والتي تُساعد في اختراق الحدود الثقافية عن طريق الترويج لنماذج ثقافية دخيلة أو ممكن أن نقول غريبة. وبفعل ايديولوجيات العولمة أصبح يصعب تحقيق الأمن الثقافي للمجتمع داخل حدود جغرافية سياسية مُعينة، وتصبح الهوّية الثقافية عابرة للحدود السياسية بالرغم من الارادة السياسية، وخاصة في اطار دولة-أمة.

ولكن الرؤية المستقبلية تتنبأ بالعكس، بحيث بعد اغلاق الحدود البرية بين البلدين(أكثر من 24 سنة)، وهو الأمر الذي أحدث شلخ بالهوّية الثقافية المشتركة للمجتمعين، تضاءل وسيتضاءل الاتصال الثقافي بينهما، بالرغم من تواجد الاتصال غير المباشر عبر العالم الافتراضي، وبعض التنقلات الجوية المحدودة. وهذا التوقع حِيال تضاءل الاتصال الثقافي يدعمه التصور الذي وضعته النظرية الانتشارية خلال ق19م التي وضحت أهمية "الاتصال الثقافي" في التفاعل بين الجماعات الاجتماعية، بمعنى أن الانتشار الثقافي يتطلب الوقت والاحتكاك، فإذا انعدم هذين الشرطين، أو أحدهما ينعدم معه الانتشار الثقافي.

بالإضافة الى أن العادات والتقاليد وكل الممارسات اليومية، ومظاهر التفاعل الاجتماعي كلها في تغير مستمر، وخاصة ونحن بعصر التطور التكنولوجي، وهذا التغير سيؤدي الى حدوث تباينات هوّياتية ثقافية بين المجتمعين الحدوديين، وعلى مرّ الزمن

[1] عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، ، لبنان، 2017، ص 32

سيكتسب كل مجتمع منهما هوّيته الثقافية الخاصة به التي تختلف عن الأخرى. وهذا ما يُؤكده الانتروبولوجي الأمريكي **مورجان** بالنظرية التطورية، يرى بان التقدم التكنولوجي يؤدي الى حدوث تغيرات جوهرية في النظم الاجتماعية السائدة .

ومن هذا التنبؤ، نصل الى استخلاص بأن الهوّية الثقافية لا تستطيع الغاء الحدود السياسية ، لأن مفهومها في حد ذاته يفضي الى التعقيد والدينامية والعلائقية، وهي مفهوم مركب، بالإضافة الى الزمن الراهن هو زمن تقدمت فيه وسائل الاعلام والاتصال وانتشار ثقافة العولمة وما تحمله معها من أفكار و رموز وقيم مختلفة واعتمادها على سياسة الباب المفتوح، فلا يُمكن بأي شكل تجاهل وظيفة الحدود السياسية.

خاتمة:

تكمن رهانات الحدود السياسية بمدى قوة الحركة الثقافية وازدياد الاحتكاكات الثقافية بفعل النظام الدولي المُعولم وتكنولوجيا الاتصالات الراهنة، ومدى قوة الهوّية الثقافية الخاصة بشعبها الذي تحده. بدون أن ننسى بأن الهوّية الثقافية ليست شيئاً موجوداً متجاوزاً أو مفارقاً للمكان والزمان أو للتاريخ والثقافة. بل هي شيء يجري انتاجه على نحو متواصل في عمليات تفاعلية دائمة لم ولن تكتمل على الاطلاق. وحسب الناقد الثقافي "هول" يعتبرها موضوع صيرورة، شأنه شأن الوجود، وهي عُرضة للتحول الدائم ولا يُمكنها ان تكون ثابتة أو نموذج مثالي. إلاّ أنها تبقى السمة الجوهرية العامة لأي ثقافة من الثقافات، بحيث تتجلى وظيفتها في حماية ثقافات الأفراد والجماعات من عوامل التعرية والذوبان.
وعليه لا يُمكن للهوّية الثقافية الغاء الحدود السياسية لأن هذه الأخيرة تُقوي عوامل ترسيخ الوحدة الوطنية وتحمي الكيان السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع.

المصادر والمراجع:

– سعد الله أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998
– غدنز انتوني ترجمة فايز الصياغ، علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2005
– مياسي ابراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837_1934، دار هومه، الجزائر، 2009
– بن نعمان أحمد، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996
– برونو أوليفييه وآخرون، الهويات الجمعية في عصر العولمة، ترجمة خالد طه الخالد، منشورات ضفاف، لبنان، 2015
– جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر والمغرب العربي، ترجمة فضيلة الحكيم وفيصل عباس، 2013
– عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الهوية:جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2017

– المتدين عبد اللطيف، "الحدود المزدوجة:صراع الهويات من منظور سياسي" دراسات المغرب
– سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي(من الفتح الى بداية عصر الاستقلال) ج1، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2003
– العيدروس محمد حسن، المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار الكتاب الحديث
– القوزي محمد علي، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1999
– موران، ادغار، النهج إنسانية بشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، الطبعة الأولى، هيئة أبو ظبي للثقافة والثرات، أبوظبي، 2009
– سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000
– ولد خليفة، محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الجزائر، 2007

Abdallah LAROUI, « L'histoire du Maghreb II»librairie Francois Mspero 1970
Charles-andré julien, « histoire de l'afrique du nord , de la conquete arabe à 1830» société nationale de publication et distribution 1978
BALIBAR Etienne, « Identité culturelle, identité nationale », in: Quaderni Exclusion-Intégration : la communication interculturelle N. 22, Hiver 1994.
Caron, J-M., Vernus, M. «*L'Europe au XIXème siècle, Des nations aux nationalismes, 1815-1914*», Armand Colin, coll. U, Paris, 1996
Déclaration universelle de l'UNESCO, la diversité culturelle Adopté par la 31e session de l'UNESCO Paris,2 novembre 2001.
Grawitz Madeleine, « *Lexique des sciences sociales* », 4ème édition, DALLOZ 1988
Gellner Ernest, « *Nation et Nationalisme* », Payot, Paris, 1989
Girault. R, *« Peuples et nations d'Europe au XIXème siècle»*, Hachette, collection *Carré Histoire*, Paris , 1996
Lionel Arnaud et Christine Guionnet**,** « *Les frontières du politique* », Rennes 2005
Milza, Pierre, *« Histoire de l'Italie des origines à nos jours »* Paris Fayard 2005.
Marti Pilar, « Identité et stratégies identitaires » *EMPAN* N° 71 2008/3

Malcolm Anderson « Les Frontières :un débat contemporain »cultures et conflits, nos 26-27(1997)

Rapport UNESCO, *L'érosion de l'identité collective et la dépersonnalisation des individus* in : *« Identité culturelle et développement »* Unesco. Paris. 1982.

Vinsonneau Geneviève, « *Culture et comportement* » Paris Armand Colin 1997

Vinsonneau Geneviève, « *Mondialisation et Identité Culturelle »* Edit De boeck Bruxelles 2012 1ere Edition

Warnier Jens-Pierre, « *La mondialisation de la culture »* Alger Casbah 1999

خريطة مدينة تلمسان توضح البلديات الحدودية مع المغرب

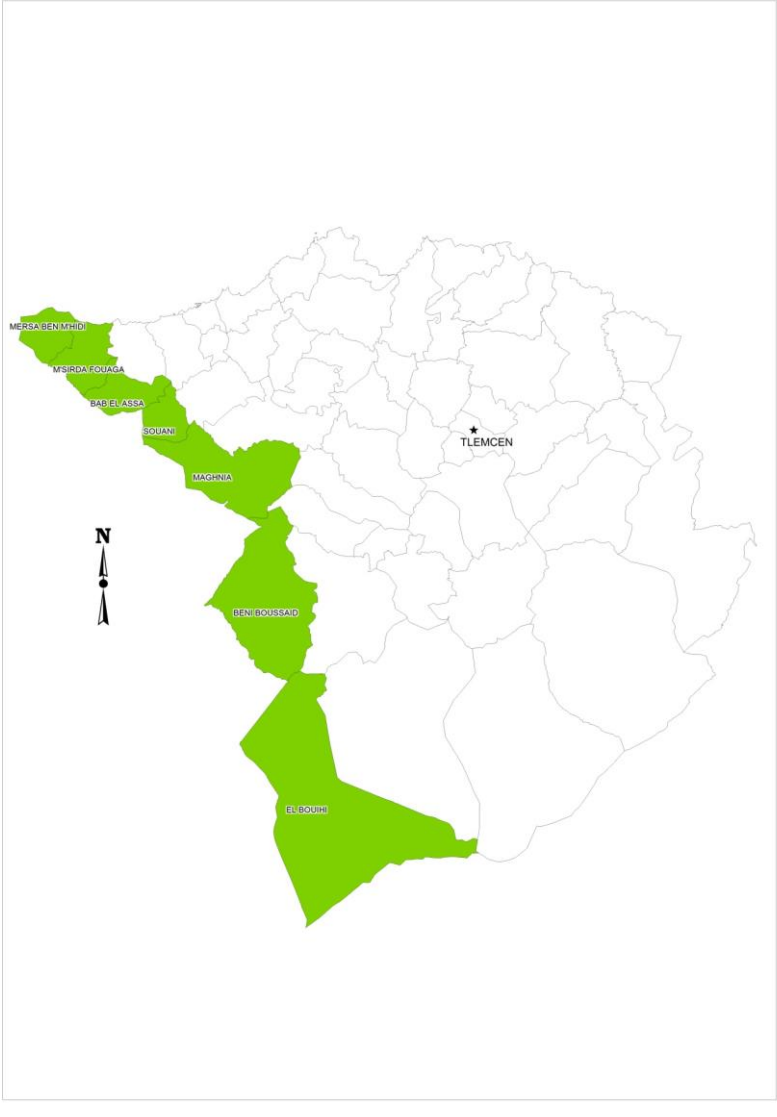

EL - HAKIKA (the Truth) Journal
for Social and Human Sciences
Volume 18, Issue 02, June 2019
(Issue 49 of the previous sequence)
ISSN: 1112-4210
EISSN: 2139-2588
مجلة الحقيقة
للعلوم الاجتماعية والانسانية
مجلد 18 عدد02، جوان 2019
(العدد 49 من التسلسل السابق)

نهاية الطريق الوطني المتوازي الجزائري

الصورة أُلتقطت من العمل الميداني

منطقة واد كيس

الصورة أُلتقطت من العمل الميداني